# الإضمار مع عدم الذكر

# فى القرآن الكريم

للدكتور / راشد أحمد جرارى

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

● **تقـديـم :**

لقد أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، ولقد كان - ولا يزال - حافزا للبحث اللغوى لأنه منبع ثقافى عظيم الشأن ، وباعث على الاشتغال بشتى ألوان الثقافة العربية ، ولهذا فقد حظى بعناية النحاة واللغويين « إذ حاول بعضهم إعرابه وبيان معانيه ، وأوجه آياته ، واحتج آخرون لقراءاته الشواذ ، وحاولوا تبيين أوجهها من العربية ، ومدى مواءمتها لأساليبها » (١) .

ولا يعرف التاريخ فى عصوره الخالية ، ولن يعرف فى عصوره المقبلة كتابا من وحى السماء ، أو من صنع البشر ، لقى من الحفاوة به ، والبحث فيه ، والتأليف عنه ، والتأليف له ، والتأليف فيه مثل ما لقى القرآن الكريم (٢) .

فهو إذن الأساس الأول فى الاستدلال اللغوى ، وقراءاته التى وصلت إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة .

وليس هذا بالكثير ، فالقرآن الكريم هو الدافع الأول إلى البحث فى لغة العرب شعرها ونثرها ، لتكون معينة على فهمه ؛ ومسهمة فى تعرف أساليبه .

وموضوع البحث : الإضمار مع عدم الذكر فى القرآن الكريم ، ما هو إلا نظرة فى كتاب الله عز وجل ، علها تضيف شيئا ، أو تنبه إلى شئ حتى نكون ممن أسهموا فى خدمة القرآن الكريم .

---

١ - الزمخشرى والقراءات - للدكتور شعبان صلاح - حوليات دار العلوم - العدد ١١ - ديسمبر ١٩٨٨ م .

٢ - مع القرآن الكريم فى دراسة مستلهمة - د . على النجدى ناصف - دار المعارف ص ز ٨ .

وقد قدمت لهذا الموضوع بالحديث فى نقاط ثلاث هى :

١ - الضمير فى اللغة والاصطلاح .

٢ - مرجع الضمير .

٣ - نماذج من مرجع الضمير فى القرآن الكريم .

ثم بسطت القول فى نماذج الإضمار مع عدم الذكر فى القرآن الكريم ، وأشكاله المتعددة ، لا على سبيل الحصر ، وإنما هو اختيار أمثلة يتضح بها ما أريد .

## ١ - الضمير لغة واصطلاحا

تقول : أضمر فى نفسه شيئا ، والجمع الضمائر والاسم الضمير ومن الفعل ضمر يضمر ضمورا ، والضمر الشئ الذى تضمره فى قلبك فتقول : أضمرت صرف الحرف ، إذا كان متحركا فأسكنته (١) .

وهو فى اصطلاح النحويين : اللفظ الموضوع للدلالة على الغائب مثل هو ... والمتكلم مثل أنا .. والمخاطب مثل أنت (٢) .

والضمير بمعنى المضمر على حد قولهم : عقدت العسل فهو عقيد أى معقود وهو اصطلاح بصرى . فالكوفيون يسمونه كناية ومكنيا ؛ لأنه ليس باسم صريح (٣) . فلا فرق عندهم بين المضمر والمكنى فهما من قبيل الأسماء المترادفة وإن اختلفا من جهة اللفظ .

أما البصريون فيرون أن المضمرات نوع من المكنيات ، فكل مضمر مكنى ، وليس كل مكنى مضمرا (٤) . أما الإضمار فهو ذكر الضمير لا مدلوله (٥) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهرى . مادة : ض م ر .

(٢) انظر : شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك - ط بغداد . ص : ١٤٢ .

وشرح اللمحة البدرية لابن هشام - تحقيق د. صلاح رواى . ص : ١٢٣ .

(٣) انظر : التصريح للشيخ خالد الأزهرى : ١/ ٩٥ -وشرح الأشمونى على الألفية : ١/ ١٠٩

(٤) انظر : شرح المفصل لابن يعيش : ٣ / ٨٤ .

(٥) انظر : معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور سمير اللبدى : ١٣٤ .

وقد عبر سيبويه عن الضمير بالمضمر والإضمار وعلامة المضمر . ومنه قوله [(١)] : اعلم أن المضمر المرفوع إذا حدث عن نفسه فإن علامته أنا ، وأما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحداً أنت ... » فعبر عن الضمير بالمضمر .

وقوله [(٢)] : وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضمر اسما بعد ما تعلم أن من يُحدّث قد عرف من تعني وما تعني،وأنك تريد شيئا يعلمه» . فالإضمار هنا بمعنى الضمير .

وقال [(٣)] : « وإذا ذكرت شيئا من هذه الأسماء التي هي علامة للمضمر فإنه محال أن يظهر بعدها الاسم ، إذا كنت تخبر عن عمل أو صفة غير عمل » .

وقد فصل النحاة القول في الأحكام المتعلقة بالضمائر في عمومها من حيث درجة تعريفها ، وأقسامها المختلفة باعتبارها المتعددة ، ومواقعها الإعرابية ، وعلة بنائها ، واتصالها وانفصالها ، إلى غير ذلك مما يخص الضمير من أحكام [(٤)] .

## ٢ - مرجع الضمير

لا تخلو الضمائر بأنواعها من إبهام وغموض ، سواء كانت للمتكلم أم للمخاطب أم للغائب ، فكان لابد من شئ يزيل هذا الإبهام ويفسر ذلك الغموض .

فهو في ضمير المتكلم والمخاطب وجود صاحبها وقت الكلام ؛ فهو إما حاضر مشاهد يتكلم ( وذلك في ضمير المتكلم ) وإما حاضر يكلمه غيره ( وهو في ضمير المخاطب ) .

---

(١) الكتاب : ٢ / ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) الكتاب : ٢ / ٦ - ٢ / ٣٥١ .

(٣) الكتاب : ٢ / ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٧٨ ، ٣٥٠ .

(٤) انظر : شرح التسهيل لابن مالك : ١ / ١٢٠ - والتصريح : ١ / ٩٥ .

أما الضمير الغائب فصاحبه ليس معروفا لا بحضور ولا مشاهدة [١] ولذا كان أضعف الضمائر تعريفًا ، ويرجع ذلك إلى أمرين :

أحدهما : ما ذكر من أن صاحبه لا حاضر ولا مشاهد .

وثانيهما : أنه كما يكون كناية عن المعرفة ، فإنه أيضًا يكون كناية عن النكرة ، حتى ذهب بعض النحويين إلى أن الضمير العائد إلى النكرة نكرة [٢] .

من أجل هذا جعل ذكر مفسر ضمير الغائب خلفا عما فاته من مقارنة المشاهدة [٣] .

وأهم أحكام هذا المفسر هي :

١ - أن يكون مقدما على الضمير [٤] .

٢ - وأن يكون مذكورا [٥] ، ليبين معناه ويكشف المقصود به .

٣ - أن يجئ بعده الضمير مطابقا له في أوجه المطابقة المختلفة .

٤ - والأصل - إذا سبق الضمير بمذكورين أو أكثر - أن يكون راجعا إلى أقرب مذكور ، ولا يكون لغيره - إلا بدليل [٦] . وبذلك يكون خاليا من الإبهام والغموض ، ويسمى هذا المفسر " مرجع الضمير " .

---

١ - انظر : النحو الوافي لعباس حسن ١ / ٢٥٥ ( هامش ) .

٢ - انظر : شرح المفصل ، ٣ / ٨٥ .

٣ - انظر : شرح التسهيل : ١ / ١٥٦ .

٤ - وذلك في غير ضمير الشأن .

٥ - إلا في مواضع الإضمار مع عدم الذكر التي سوف نفصل القول فيها .

٦ - انظر : شرح التسهيل : ١ / ١٥٧ .

## ٣ - نماذج من مرجع الضمير فى القرآن الكريم

### أ - عوده إلى أقرب مذكور بعد مذكورين أو أكثر :

- ومنه قوله تعالى [١] : « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئًا » . فالضمير فى " ربه " راجع إلى المملى الذى عليه الدين ، وكذلك الضمير فى " ولا يبخس " .

- وقوله سبحانه [٢] : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ، وكان الله على كل شئ مقتدرا » .

فعاد الضمير فى قوله : أصبح إلى النبات الذى التف وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا بسبب ذلك الماء [٣] .

وقوله تعالى [٤] : « ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » .

فالضمير " هم " للملائكة بدليل ويفعلون ما يؤمرون [٥] كقوله تعالى [٦] : « عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

---

١ - البقرة : ٢٨٢ .

٢ - الكهف : ٤٥ .

٣ - انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى - ٢ / ٣٩٢ - دار المعرفة .

٤ - النحل : ٤٩ .

٥ - قال الزمخشرى : وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء : الكشاف ٢ / ٣٣١ .

٦ - التحريم : ٦ .

**ب – عوده إلى غير الأقرب بقرينة :**

ومن ذلك قوله تعالى [1] : « خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم »

فالضمير فى قوله : " فأنبتنا فيها " راجع إلى الأرض وإن كانت غير الأقرب ، والأقرب هو السماء ، بقرينة وهى الإنزال إنما يكون من عل ، وأن الإنبات إنما يكون فى الأرض .

ومنه كذلك قوله سبحانه [2] : « وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين » فالضمير فى " لبث " راجع إلى يوسف عليه السلام لا إلى الساقى – وهو الأقرب للضمير – بدليل أن الساقى كان خارج السجن [3] .

ومنه أيضًا قوله تعالى [4] : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

فعاد الضمير فى قوله : " فيه " إلى " الليل " وهو غير الأقرب ؛ لأن السكن والراحة إنما يكونان بالليل ، بدليل قوله تعالى [5] : « وجعل الليل سكنا » وقوله تعالى [6] : « وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا » .

**جـ – إمكان عود الضمير إلى كل من المذكورين :**

من ذلك قوله تعالى [7] : « خلق السماوات بغير عمد ترونها » .

---

١ – لقمان : ١٠ .　　٢ – يوسف : ٤٢ .

٣ – ويحتمل أن يكون الضمير فى " ربه " راجع إلى يوسف ، فيكون الشيطان قد أنساه ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره . الكشاف ٢ / ٢٥٧ .

٤ – القصص : ٧٣ .　　٥ – الأنعام : ٩٦ .

٦ – النبأ : ١٠ ، ١١ .　　٧ – لقمان ١٠ .

فالضمير فى " ترونها " يجوز فيه أن يكون للسماوات ، وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة . ويجوز أن يعود إلى العمد . أى : بغير عمد مرئية ، أى أنه عمدها بعمد لا ترى ، وهى إمساكها بقدرته (١) .

وقوله تعالى (٢) : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

فالضمير فى " أمره " يحتمل رجوعه لله سبحانه ، أو للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمعنى : عن طاعته ودينه (٣) .

ومنه أيضًا قوله عز وجل (٤) : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

فالضمير فى " ليكون " يحتمل عوده إلى " عبده " وهو النبى - صلى الله عليه وسلم - أو إلى الفرقان (٥) .

### د - عود الضمير إلى أحد المذكورين تغليبا :

قال تعالى (٦) : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائمًا ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » فالحديث عن التجارة واللهو معا ، ثم جاء الضمير فى قوله " إليها " مؤنثا راجعًا إلى التجارة (٧) ، إذ هم أكثر طلبا لها وأكثر حرصا عليها من اللهو » .

وقوله تعالى (٨) : « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانا وإثمًا مبيناً » .

فغلب المذكر على المؤنث (٩) ، فجاء الضمير مذكراً فى قوله : " به " .

---

١ - انظر : الكشاف ٣ / ٢١١ .
٢ - النور : ٦٣ .
٣ - انظر : الكشاف ٣ / ٨٧ .
٤ - الفرقان : ١ .
٥ - انظر : الكشاف : ٣ / ٨٨ .
٦ - الجمعة : ١١ .
٧ - انظر : معانى القرآن للأخفش ٢ / ٨١ .
٨ - النساء : ١١٢ .
٩ - انظر : معانى القرآن للأخفش ٢ / ٨١ . وقد جعل منه قول الشاعر :
أما الوسامة أو حسن النساء فقد ... أوتيت منه لوان العقل محتنك

ومنه كذلك قوله سبحانه (١) : « وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

فأعاد الضمير مذكراً إلى القمر ، وقد ذكرت معه الشمس ، فغلب القمر ، مع أن الله قدر منازل كل منهما ، فالقمر تعرف به التقديرات الهلالية من صوم وحج وغيرهما ، والشمس يعرف بها حساب اليوم .

ومن أشكال مرجع الضمير فى القرآن الكريم ، عوده إلى غير مذكور فى الكلام ، وهو ما يسمى بالإضمار مع عدم الذكر ، وهو ما سنفصل فيه القول فى حديثنا التالى .

## الإضمار مع عدم الذكر فى القرآن الكريم

قلنا إن ضمير الغائب هو أحوج الضمائر إلى وجود مفسر يعوض ما فاته من الحضور أو المشاهدة . ومرجعه بين الحالتين :

١ - إما أن يصرح بلفظه مقدما على الضمير ، مفسرا غموضه ، كما مرت أمثلته .

٢ - وإما أن يستغنى عن لفظه فيعود الضمير على غير مذكور ، وذلك بمسوغات هى :

١ - حضور معناه فى الحس أو العلم . ٢ - ذكر ما اشترك معه فى المدلول .

٣ - ذكر مصاحبه . ٤ - عود الضمير إلى مضاف محذوف .

### أولاً : حضور المعنى :

وذلك بأن يكون مفسر الضمير حاضرا مدلوله عند الحديث ، كما فى قول طرفة :

على مثلها أمضى إذا قال صاحبى ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى

أى : على مثل هذه الناقة أمضى فى أسفارى وحين يبلغ الأمر غايته يقول صاحبى : ألاْ ليتنى أفديك من مشقة هذه الشقة فأخلصك منها وأنجى نفسى (٢) .

---

١ - يونس : ٥ .

٢ - شرح المعلقات السبع للزوزنى : ٥٦ .

فالضمير فى " منها " راجع إلى الفلاة وإن لم يجر لها ذكر فى الكلام قبل هذا [١] ، لأن معناها حاضر فى علم السامع .

وأمثال هذا كثيرة فى كتاب الله عز وجل ، منها قولهه تعالى [٢] : « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » .

فالضمير فى " له " لله تعالى ؛ لحضور معنى المفسر فى العلم ، وقوله عز وجل (٣) : وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » .

فمرجع الضمير فى " منه " لله عز وجل [٤] . ومثله قوله تعالى [٥] : « فأوحى إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر الموحى تفخيما لشأنه » [٦] ، فالضمير فى " عبده " راجع إلى الله تعالى أى : " عبد الله " وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر ؛ لأنه لإبليس [٧] ؛ إذ مدلوله حاضر فى الذهن .

وقوله تعالى [٨] : « وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون » فالضمير فى "قيله " راجع إلى غير مذكور ، ولكن معناه حاضر فى الذهن ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم [٩] .

وقوله سبحانه وتعالى [١٠] : « وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد » .

فقد كفروا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - حيث قالوا فيه : ساحر وشاعر وكاهن [١١] ولم يجر له ذكر ، لحضور معناه .

---

١ - انظر : الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى : المسألة ١٣ .
٢ - الأنعام : ١٣ .
٣- يونس : ٦١ .
٤ - ويجوز أن يكون للشأن أو للتنزيل . انظر الكشاف : ٢ / ١٩٥ .
٥ - النجم : ١٠ .
٦ - انظر : تفسير الجلالين : ٦٩٧ .
٧ - انظر : الكشاف : ٤ / ٣٨ .
٨ - الزخرف : ٨٨ .
٩ - تفسير الجلالين : ٦٥٥ .
١٠ - سبأ : ٥٣ .
١١ - الكشاف : ٣ / ٢٦٥ - والجلالين : ٥٧٣ .

وقوله سبحانه (١) : « وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون » . فالضمير فى " عنه " للنبى - صلى الله عليه وسلم - فهم ينهون الناس عن اتباعه (٢) .

وقوله سبحانه (٣) : « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » .

فالضمير للنبى - صلى اله عليه وسلم - فى قوله : " ينصره " ، والمعنى أن الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة ، فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ، ويطمع فيه ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه ، فليستقص وسعه ، وليستفرغ مجهوده فى إزالة ما يغيظه (٤) .

ومثله قوله تعالى (٥) : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . فالضمير فى " يعرفونه " للنبى - صلي الله عليه وسلم - وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر ؛ لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوما بغير إعلام ، ويجوز أن يكون الضمير للعلم أو للقرآن أو لتحويل القبلة ، ويؤيد كونه للنبى - صلى الله عليه وسلم - شيئان ..

الأول : قوله تعالى : « كما يعرفون أبناءهم » .

الثانى : ما جاء فى حديث عبد الله بن سلام (٦) .

---

١ - الأنعام : ٢٦ .

٢ - الكشاف : ٢ / ٩ - والجلالن : ١٧٢ .

٣ - الحج : ١٥ .

٤ - الكشاف : ٣ / ٢٧ .

٥ - البقرة : ١٤٦ .

٦ - وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال لعبد الله بن سلام : « أتعرف محمداً كما تعرف ولدك ؟ قال : نعم وأكثر . نزل الأمين من السماء على الأمين فى الأرض نبعته فعرفته ، وإنى لا أدرى ما كان من أمه »

- انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ١٩٤ .

وكذلك قوله سبحانه (١) : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وقوله تعالى (٢) : عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى » .

فالضمير فى كل عائد إلى النبى - صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا الضرب ما جاء فى شأن القرآن من إضماره وإن لم يجر له ذكر لحضور معناه . ومنه قوله تعالى (٣) : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » . فالضمير فى " أنزلناه " للقرآن ولم يتقدم ذكره لأن الآية أول السورة ، وذلك لحضور معناه فى علم المخاطبين . وهذا الإضمار هو أحد ثلاثة أوجه عظم الله بها القرآن فى هذا الموضع ، حيث جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه (٤) .

وقوله تعالى (٥) : « فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » أى : القرآن والمعنى : سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (٦) فمعناه حاضر فى علم المخاطب وهو النبى - صلى الله عليه وسلم - وأمته من بعده .

وقوله سبحانه (٧) : « وكذب به قومك وهو الحق » أى بالقرآن الكريم (٨) .

وقوله عز وجل (٩) : « قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » وقوله (١٠) «وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع » .

وقوله سبحانه (١١) : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » .

---

١ - يس : ٦٩ . ٢ - عبس : ١ ، ٢ . ٣ - القدر : ١ .

٤ - وأما الوجهان الآخران فهما : أن الله أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره وأنه رفع من مقدار الوقت الذى أنزله فيه ، انظر : الكشاف : ٤ / ٢٢٥ - وشرح التسهيل : ١ / ١٥٧ - وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ١٤٢ .

٥ - الدخان : ٥٨ .

٦ - انظر : الكشاف : ٣ / ٤٣٥ - والجلالين : ٦٥٩ .

٧ - الأنعام : ٦٦ . ٨ - انظر الجلالين : ١٧٩ .

٩ - البقرة : ٩٧ . ١٠ - الأنعام : ٧٠ . ١١ - الأنعام : ٥١ .

فالضمير فى كل للقرآن وإن لم يجر له ذكر لحضور معناه فى العلم ، وقوله سبحانه (١) ، « وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين » ، فالضمير للقرآن الكريم (٢) .

ومنه كذلك قوله تعالى (٣) : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون » فالضمير فى " قبله " للقرآن (٤) لعلمه .

وقوله تعالى (٥) : « فكفروا به فسوف يعلمون » أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الكريم الأشرف من تلك الكتب (٦) .

وقوله عز وجل (٧) : « لا تحرك به لسانك لتعجل به » . فالضمير فى به للقرآن والمعنى : لا تحرك لسانك بقراءة القرآن ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (٨) .

ومنه قوله تعالى (٩) : « إنه لقول رسول كريم » . فالضمير للقرآن وإن لم يجر ذكره (١٠) وقوله تعالى (١١) : « فبأى حديث بعده يؤمنون » أى : بعد القرآن لاشتماله على الإعجاز الذى لم يشتمل عليه غيره فهو من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة ماهرة ، فحين لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده يؤمنون (١٢) .

ومما جاء راجعا إلى غير مذكور سوى ما تقدم ، قوله تعالى (١٣) : قال « اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » وقوله تعالى (١٤) : « قال فأخرج منك فإنك رجيم » .

---

١ - الشعراء : ١٩٢ ، ١٩٣ .
٢ - وكذلك الآيات : ١٩٦ - ٢٠٢ من السورة .
٣ - القصص : ٥٢ .
٤ - انظر الكشاف : ٣ / ١٧٣ .
٥ - الصافات : ٧١ .
٦ - انظر الجلالين : ٥٩٨ .
٧ - القيامة : ١٦ .
٨ - انظر الكشاف : ٤ / ١٦٥ .
٩ - الحاقة : ٤٠ - والتكوير : ١٩ .
١٠ - الجلالين :٧٥٧- الكشاف : ١٣٦/٤- ١٣٧ . ١٩٠ .
١١ - المرسلات : ٥٠ .
١٢ - الجلالين : ٧٧٩ - والكشاف : ١٧٥/٤ - ١٧٦ .
١٣ - الأعراف : ١٨ .
١٤ - الحجر : ٣٤ - ص ٧٧ .

فالضمير فى " منها " فى الآيتين راجع إلى الجنة وإن لم تذكر من قبل ، لحضور معناها فى حس المخاطب . وقيل : من السماوات [1] .

ومثله قوله تعالى [2] : « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين » .

أى : اهبط من السماء التى هى مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التى هى مقر العاصين المتكبرين من الثقلين [3] .

فعاد الضمير فى قوله : " منها " و " فيها " على السماء وهى غير مذكورة لحضور معناها فى حس المخاطب .

وقوله تعالى [4] : « ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون » .

فالضمير فى : لديهم - يلقون - أقلامهم - أيهم يكفل - لديهم - يختصمون . راجع إلى غير مذكور فى الكلام ، وهم آل عمران ومنهم نبى الله زكريا عليه السلام .

وقوله سبحانه [5] : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » ، وقوله [6] : « وإنها لسبيل مقيم » .

فالضمير فى : عاليها - سافلها - وإنها ، لقرى قوم لوط عليه السلام ، فقد رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض [7] . ولم يتقدم ذكر القرى من قبل لكونها حاضرة المدلول .

وقوله سبحانه [8] : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، وقوله [9] : « إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيداً » .

---

١ - قال فى الكشاف : فأخرج منها : من الجنة . وقيل من السماوات وقيل من الخلقة التى أنت عليها ، لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فأسود بعد ما كان أبيض ، وقبح بعد ما كان حسنا ، وأظلم بعدما كان نورانيا . ٣٣٦/٣ . وانظر الجلالين : ٢٠٠ ، ٣٤٦ ، ٦٠٥ .

٢ - الأعراف : ١٣ .

٣ - انظر الكشاف : ٥٤/٢ .

٤ - آل عمران : ٤٤ .

٥ - الحجر : ٧٤ .

٦ - الحجر : ٧٦ .

٧ - انظر الجلالين : ٣٤٩ والكشاف : ٣١٨/٢ .

٨ - الشعراء : ٤ .

٩ - الطارق : ١٥ ، ١٦ .

فالضمير فى الآيتين : يكونوا - إنهم - يكيدون ، راجع إلى غير مذكور ، وهم أهل قلة [١] .

وقوله تعالى [٢] : « فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون »

فضمير الغائب فى قوله : بلغت ، راجع إلى الروح وإن لم يتقدم ذكرها والضمير " إليه " للمختصر ، ولم يسبق ذكره أيضًا ، لحضور المعنى .

ومنه قوله تعالى [٣] : « يا ليتها كانت القاضية » . فمفسر الضمير فى " ليتها " غير مذكور لحضور معناه ، والمراد به الموتة فى الدنيا ، يقول : ياليت موتتى كانت القاطعة لحياتى بأن لا أبعث [٤] .

وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام [٥] : « هى راودتنى عن نفسى » . فالضمير " هى " يعود إلى امرأة العزيز ، وذلك لحضور معنى مفسر الضمير حسًا [٦]

وقوله عز وجل [٧] : «قالت إحداهما يا أبت استأجره إنه خير من استأجرت القوى الأمين » .

فضمير الغائب فى استأجره راجع إلى غير مذكور وهو موسى عليه السلام ، ولم يجر له ذكر عند حضوره مع ابنه شعيب ،وقصدها بالضمير هنا الرجل الحاضر الذى بان لها من قوته وأمانته الأمر العضيم [٨] .

وقوله سبحانه [٩] : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » .

فالضمير فى قوله : " فيها " للقرية وإن لم يجر لها ذكر لكونها حاضرة فى العلم [١٠] .

---

١ - انظر الكشاف : ٢٠٣/٤ - الجلالين : ٤٨٥ ، ٧٩٤ .
٢ - الواقعة : ٨٣ - ٨٥ .
٣ - الحاقة : ٢٧ .
٤ - انظر الجلالين : ٧٥٧ والكشاف : ١٣٦/٤ .
٥ - يوسف : ٢٦ .
٦ - انظر : حاشية يس على التصريح : ٩٦/١ .
٧ - القصص : ٢٦ .
٨ - انظر حاشية يس : ٩٦/١ .
٩ - الذاريات : ٣٥ - ٣٦ .
١٠ - انظر الكشاف :٣٠/٤ - والجلالين :٦٩١ .

## ثانيا : الاشتراك فى المدلول

ونعنى به أن يعود الضمير على غير مذكور صراحة ، ولكن فى الكلام قبله لفظ آخر يتضمن معنى المرجع ويرشد إليه ، ويشترك معه فى الاشتقاق . كقول الشاعر (١) :

وإذا سئلت العدل فأعلم أنها ... حسنى تخص بها من الرحمن

فإن مرجع الضمير فى « أنها » مفهوم من « سئلت » ؛ لأن الفعل يتضمنه ويدل عليه ، ولكن من غير تصريح بلفظه كاملاً ، إنها المسألة المفهومة ضمنا من قوله « سئلت » ، واللفظان : « سئلت » و « المسألة » مشتركان فى أصل المعنى العام وفى مادة الاشتقاق . ومنه أيضًا قول الآخر (٢) :

إذا نهى السفيه جرى إليه ... وخالف والسفيه إلى خلاف

فالضمير فى إليه عاد إلى غير مذكور ، دل عليه « السفيه » ؛ لاشتراكهما فى المدلول ، وهو المصدر « السفه » ، المدلول عليه بالصفة المشبهة « السفيه »

ومنه قولك : « أدب ولدك فى الصغر ينفعه فى الكبر » أى : التأديب (٣) .

ومنه ما جاء فى الحديث : .. واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى تجعله فى امرأتك « فعاد الضمير إلى اسم المفعول المدلول عليه بالفعل « تنفق » ومصدره نفقة » .

ومن ذلك قول العرب : من كذب كان شرا له « يريد : كان الكذب شرا له ، إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب ، لقوله « كذب » فى أول حديثه (٤) .

ومما جاء فى القرآن الكريم من هذا الضرب . قوله تعالى (٥) : واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » .

(١) انظر شرح الأشمونى : ٢/ ٦٠ .
(٢) استشهد به فى الإنصاف ، والمسألة الخامسة .
(٣) انظر شرح الاشحونى : ٢/ ٦٠ .
(٤) انظر الكتاب : ٢/ ٣٩١ - وشرح المفصل : ٣/ ١١٢ .
(٥) البقرة : ٤٥ .

فعاد الضمير فى « إنها » على غير مذكور ، وهو المصدر «الاستعانة » المدلول عليها بالفعل قبلها : « واستعينوا » ، فهما مشتركان فى مادة الاشتقاق والمدلول ، فأغنى ذكر الفعل عن التصريح بمصدره .

وقوله تعالى [١] : قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون » .

فعاد الضمير فى « أنه » إلى غير مذكور ، ولكنه مدلول عليه بالفعل « فولوا » فهو المصدر : التولى ، أو التحويل إلى الكعبة . فهو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه يصلى إلى القبلتين [٢] .

وقوله سبحانه [٣] : فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمة على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم » .

فمفسر الضمير فى قوله : بدله - سمعه - إثمه - يبدلونه . غير مذكور ولكنه مفهوم من لفظ الوصية فى الآية قبلها : إن ترك خيرا الوصية للوالدين .. فهو راجع إلى المصدر وهو « الإيصاء » أى : فمن غير الإيصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه [٤] .

وقوله عز وجل [٥] : إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير « لكم » .

فعاد الضمير « هو » على المصدر المدلول عليه بما قبله والتقدير : فإخفاؤها خير لكم .

ومنه قوله تعالى [٦] : ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله » .

(١) البقرة : ١٤٤ .
(٢) انظر الكشاف : ١٠١/١ .
(٣) البقرة : ١٨١ .
(٤) انظر الكشاف : ١١٢/١ .
(٥) البقرة : ٢٧١ .
(٦) آل عمران : ٤٩ .

فعاد الضمير فى قوله « فيه » على اسم المفعول غير مذكور ، وهو « المخلوق » المدلول عليه بالفعل « أخلق » . أو هو راجع إلى اسم المفعول « المهيأ » الذى دل عليه المصدر وهو « الهيئة » (١) : لا شتراكهما فى المادة والمدلول .

وقوله سبحانه (٢) : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم » .

فضمير الغائب « هو » راجع إلى « البخل » المدلول عليه بالفعل « يبخلون » المشترك معه فى الاشتقاق والدلالة . « كأنه قال : ولا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم . ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطب بأنه البخل لذكره يبخلون » (٣) .

وقوله سبحانه (٤): ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيرا » . كأنه قال : إن أكلها كان حوبا كبيرا » (٥) . فكان الفعل « تأكلوا » دالاً على المصدر مرجع الضمير « أكلها » .

ومنه قوله عز وجل (٦) : اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » فالضمير « هو » عائد إلى العدل لأنه جزء مدلول اعدلوا (٧) . فالفعل متضمن لمرجع الضمير (٨) ، فاللفظان مشتركان فى أصل المعنى العام ، وفى مادة الاشتقاق .

وقوله تعالى (٩) : يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله عنها والله غفور حليم » .

(١) انظر : حل ألغاز المسائل الإعرابية لابن هشام : ٧٦ .
(٢) آل عمران : ١٨٠ .
(٣) الكتاب : ٣٩١/٢ - وانظر معانى القرآن للأخفش : ٢٢١/١ - ٢٢٢ . وشرح المفصل لابن يعيش : ١١٢/٣ .
(٤) النساء : ٢ .
(٥) انظر معانى القرآن للأخفش : ٣٦٧/١ .
(٦) المائدة : ٨ .
(٧) انظر شرح التسهيل : ١٥٧/١ .
(٨) انظر حاشية الصبان على الاشمونى : ١٠٨/١ .
(٩) المائدة : ١٠١ .

فالضمير فى « عنها » راجع إلى المسألة التى دل عليها قوله « لا تسألوا » لاشتراكهما فى المدلول . والمعنى : عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها (١) .

وقوله عز وجل (٢) : .. تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى » .

فالضمير فى « به » راجع إلى القسم (٣) ، المدلول عليه بالفعل « فيقسمان ».

وقوله سبحانه (٤) : وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

فليس للضمير فى « فعلوه » مفسر مذكور صراحة ، وإنما مدلول عليه بالفعل « يوحى » فهو « الإيحاء » .

وقوله تعالى (٥) : وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » .

فالضمير فى « جعله » لم يذكر مفسره ، وإنما فهم من الآية قبلها : أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » . فعاد الضمير على المصدر وهو « إمدادكم » (٦) . وقد دل عليه اسم الفاعل « ممدكم » ؛ لاتحادهما فى المعنى والاشتقاق .

وقوله سبحانه (٧) : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

فالضمير « هو » عائد على المصدر غير المذكور المدلول عليه بالفعل «صبرتم» .

وقوله تعالى (٨) : أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من

---

(١) انظر الكشاف : ٣٦٧/١ .
(٢) المائدة : ١٠٦ .
(٣) انظر الكشاف : ٣٦٩/١ .
(٤) الأنعام : ١١٢ .
(٥) الأنفال : ١٠ .
(٦) انظر الكشاف : ١١٦/٢ - ١١٧ .
(٧) النحل : ١٢٦ .
(٨) الإسراء : ٦٩ .

من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا » .

أي : ناصرا وتابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (١) . والمعنى : أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا (٢) .

فالضمير فى « به » عائد إلى المصدر وهو « إغراقكم » المفهوم من دلالة الفعل « فيغرقكم » عليه .

ومنه قوله سبحانه : (٣) « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم » .

فرجع الضمير فى « به » إلى المصدر وهو « القول » المدلول عليه بـ « قالوا » والمعنى : أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط ، وتقليد للأباء وقد اشتملته أباؤهم من الشيطان وتسويله (٤) .

وقوله تعالى (٥): « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له » أي : للخلق . المدلول عليه بـ « لن يخلقوا » .

وقوله عز وجل (٦) : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيراً » .

فمفسر الضمير فى « به » هو المصدر « ترك الطاعة » الذل دل عليه قوله « فلا تطع » . والمراد : أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك ، فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به (٧) .

وقال سبحانه (٨) : « قل ما سألتكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » .

---

(١) انظر الجلالين : ٣٨٠ .

(٢) انظر الكشاف : ٣٧٨/٢ .

(٣) الكهف : ٥ .

(٤) انظر الكشاف : ٣٨٠/٢ .

(٥) الحج : ٧٣ .

(٦) الفرقان : ٥٢ .

(٧) انظر الكشاف : ١٠١/٣ . وفيه وجهان آخران وهما : أنه إلى القرآن . الجلالين : ٤٨٢ - أو إلى ما دل عليه : ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا : من كونه نذير كافة القرى . الكشاف : ١٠١/٣ .

(٨) الفرقان : ٥٧ .

فرجع الضمير إلى غير مذكور دل عليه ما قبله فى قوله تعالى : وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » فيكون المفسر : التبشير والإنذار ، بدليل : مبشرا ونذيرا .

وقوله سبحانه [١] : « وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذى كنا نعمل . أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير » .

فعاد الضمير فى قوله « فيه » على المصدر « التعمير » الذى اشترك معه الفعل « نعمركم » فى مادة الاشتقاق والمدلول . أى : نعمركم تعميرا يتذكر فيه [٢].

وقوله جل ذكره [٣] : « ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده » والمعنى : ومن يخذل الله فليس له ناصر يتولاه من بعد خذلانه [٤] . فعاد الضمير فى « بعده » على المصدر المدلول عليه بالفعل « يضلل » .

وقوله تعالى [٥] : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه [٦] . أى : فاغتيابه فى حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثانى فكرهتموه ، فاكرهوا الأول [٧] . وقيل : إن صح ذلك عندكم فأنتم تكرهونه [٨] .

وقوله تعالى [٩] : « أتواصوا به بل هم قوم طاغون » .

فلم يصرح بمفسر الضمير فى « به » وهو المصدر الذى دل عليه الفعل « قالوا » فالضمير للقول يعنى : أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا متفقين عليه [١٠] .

ومنه قوله جل ذكره [١١] : « فشاربون عليه من الحميم » فعاد الضمير فى

---

(١) فاطر : ٣٨ .

(٢) التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى . ص : ١٠٧٦ . تحقيق على محمد البجاوى - بيروت .

(٣) الشورى : ٤٤ .

(٤) انظر الكشاف : ٤٠٨/٣ .

(٥) الحجرات : ١٢ .

(٦) انظر البيتان : ١١٧١ .

(٧) انظر الجلالين : ٦٨٤ .

(٨) انظر البيتان : ١١٧١ .

(٩) الذاريات : ٥٣ .

(١٠) انظر الكشاف : ٣٢/٤ .

(١١) الوقعة : ٥٤ .

« عليه » على غير مذكور دل عليه ما تقدمه بين قوله تعالى : « لآكلون من شجر من زقوم » . فمفسر الضمير هو اسم المفعول « المأكول » المدلول عليه باسم الفاعل « لآكلون » لاشتراكهما من جهتى المدلول . الاشتقاق .

وقوله سبحانه (١) : « وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض » .

فالضمير فى « عليه » راجع إلى غير مذكور هو اسم المفعول « المنبأ به » لدلالة « نبأت » عليه . ولا يمكن عوده إلى الحديث السابق ؛ لأن النبى هو الذى أسر به إليها .

وقوله تعالى (٢) : « فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها » .

فالضمير فى قوله : « فسواها » للدمدمة المدلول عليها بقوله « مدمدم » أى : فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم » (٣) . والضمير فى : عقباها للدمدمة أو للتسوية بدليل : فدمدم ، و « فسواها » .

قال ابن خلدون (٤) : وقال بعض أهل العلم : الهاء فى فسواها تعود على الدمدمة ؛ لأن الفعل إذا ذكر دل على مصدره .

---

(١)التحريم : ٣ .

(٢) الشمس : ١٤ ، ١٥ .

(٣) انظر الكشاف : ٢١٦/٤ - ٣٨٧/٢ .

(٤) إعراب ثلاثين سورة : ١٠٦ . وقال العكبرى : والضمير فى « سواها » و « عقباها » للعقوبة . التبيان : ١٢٩٠ .

## ثالثا : ذكر ما صاحب الضمير

والمراد به عدم ذكر مفسر الضمير اجتزاء بذكر مصاحبه بأحد أشكال المصاحبة ، كأن يكون المذكور كلا لمفسر الضمير أو جزءا منه ، أو مستلزما عنه ، أو مصاحبه فى الاستحضار الذهنى .

وهذا بيان كل :

١ - المصاحبة بالكل أو الجزء :

فقد يستغنى عن ذكر صاحب الضمير بكونه كلا والمذكور جزءا منه ، فإن الجزء يدل على الكل . أو يكونه جزءا والمذكور كلا ، فالكل يشمل الجزء .

### أ - ذكر الكل المغنى عن جزئه :

ومنه قول حاتم لامرأته ماوية وقد خافت الفقر فلامته على كرمه :

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أى : حشرجت النفس بمعنى حلول وقت خروج الروح . ولم يذكر النفس لأن ذكر الفتى مغن عن ذكرها : لأنها جزؤه ، فعاد إليها فاكل حشرجت والضمير المجرور بالباء [١] .

ومما جاء منه فى القرآن الكريم قوله تعالى [٢] : ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » .

فالخطاب للأزواج بصيغة الجمع ، ثم حديث بصيغة المثنى : .. أن يخافا ألا يقيما .. » فالضمير المثنى عائد إلى غير مذكور وهو الزوجان ، فهما جزء من المخاطبين فى قوله « لكم » . وأيضا الضمير العائد إلى مؤنث فى قوله « افتدت » راجع إلى غير مذكور وهو الزوجة ، حيث إنها جزء مما ذكر فى قوله : «آتيتموهن» ، فأغنى عن ذكر الجزء [٣] .

---

(١) انظر شرح التسهيل : ١٥٧/١ .
(٢) البقرة : ٢٢٩ .
(٣) والمعنى : ولا جناح على الرجل فيما أخذ ، ولا على المرأة فيما أعطت انظر الكشاف : ١٣٩/١ .

ومنه قوله تعالى [1] : وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » .

فالضمير فى « بينهما » للزوجين . ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء [2] . وذلك فى الآية قبلها [3] : الرجال قوامون على النساء » فكان ذكر الكل مغنيا .

ومثله قوله تعالى [4] : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم . فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

فالضمير فى : « فتذروها راجع إلى المرأة المرغوب عنها [5] ، أو التى تحبونها [6] ، ولم يجر ذكرها لذكر النساء قبلها فكان ذلك مغنيا .

وكذلك قوله تعالى فى الآية بعدها [7] : وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا عليمًا » .

فعاد الضمير فى قوله « يتفرقا » إلى الزوجين المدلول عليهما بذكر ما هو كل لهما من مخاطبة الأزواج فى شأن النساء قبلها .

ومنه قوله تعالى [8] : « وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى » .

فلم يذكر مفسر الضمير فى قوله « عليها » وهو النار المدلول عليها بلفظ « العذاب » فى قوله تعالى قبلها [9] : وترى الظالمين لما رأوا العذاب ، « لأن النار جزؤه .

ومثلها قوله سبحانه [10] : « كلا إنها لظى » فالضمير للنار وإن لم يجر لها

---

(1) النساء : ٣٥ .
(2) انظر الكشاف : ٢٦٧/١ .
(3) النساء : ٣٤ .
(4) النساء : ١٢٩ .
(5) الكشاف : ٣٠٢/١ .
(6) الجلالين : ١٣٠ .
(7) النساء : ١٣٠ .
(8) الشورى : ٤٥ .
(9) الشورى : ٤٤ .
(10) المعارج : ١٥ .

ذكر لأن ذكر العذاب دل عليها (١) .

وقوله سبحانه (٢) : « وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض » .

فقد ذكر الأزواج أولاً ، ثم خصص الحديث عن حفصة ولم يجر لها ذكر لأنها جزء ما قبلها . وكذلك قوله تعالى فى الآية بعدها (٣) . إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » . فهما اثنتان من مجموع الأزواج ، فدل ذكر الأزواج على المتظاهر عليه - صلى الله عليه وسلم .

## ب - ذكر الجزء المغنى عن الكل :

كما كان ذكر الكل دالاً على الجزء ، فإن الجزء كذلك يكون ذكره فى بعض الكلام مغنيا عن ذكر الكل . ففى قول الشاعر :

ولو حلفت بين الصفا أم معمر ومروتها بالله برت يمينها

عاد الضمير فى « مروتها » إلى مكة ؛ لأن الصفا جزء منها (٤) .

ومما جاء فى القرآن قوله تعالى (٥) : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم » .

والمذكور هنا سماء واحدة ، والضمير للجمع ، وهذا لأن ذكر السماء قد دل عليهن كلهن (٦) .

ومنه قوله تعالى (٧) : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

---

(١) الكشاف : ١٣٩/٤ .
(٢) التحريم : ٣ .
(٣) التحريم : ٤ .
(٤) انظر شرح التسهيل : ١٥٨/١ .
(٥) البقرة : ٢٩ .
(٦) انظر معنى القرآن للأخفش : ٥٤/١ .
(٧) التوبة : ٣٤ - ٣٥ .

فإن الذهب والفضة بعض المكنوزات ، فأغنى ذكرهما عن ذكر الجميع ، حتى كأنه قيل : والذين يكنزون أصناف ما يكنز ولا ينفقونها [1] .

وقوله تعالى [2] : « بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون » .

فالضمير فى قوله : تأتيهم - فتبهتهم « عائد إلى غير مذكور ، وهو القيامة ، أو الساعة [3] . وقد أغنى عن ذكرها ذكر ماهو جزء لها فى الآية قبلها [4] . لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار » . فالنار جزء ما يكون يوم القيامة .

وقوله سبحانه [5] : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

فضمير جمع الإناث فى قوله « يأتين » عاد إلى غير مصرح بذكره وهى الضوامر ، وأغنى عن ذكرها ذكر الضامر وهى جزؤها [6].

وكذلك قوله تعالى [7] : كل من عليها فان . فالضمير فى « عليها » للدنيا وإن لم يجر ذكرها فى هذه السورة ، لأن ما جرى ذكره وهو « من » بعضها ، والبعض يدل [8] .

ومثله قوله سبحانه [9] : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » . فأضمر الأرض من غير أن يكون ذكرها ، وعاد عليها الضمير فى قوله « عليها » اكتفاء بذكر « الناس » . والجزء يغنى فى بعض الكلام . مثل قولهم : أخبرك ما على ظهرها أحد أحب إلى منك ، وما بها أحد أثر عندى منك » [10] .

(1) انظر شرح التسهيل : ١٥٨/١ .
(2) الأنبياء : ٤٠ .
(3) الجلالين : ٤٣٠ - والكشاف : ١٢١٣ .
(4) الأنبياء : ٣٩ .
(5) الحج : ٢٧ .
(6) ويحتمل أن يكون « يأتين » صفة لكل ضاد لأنه فى معنى الجمع . الكشاف : ٣/ ٣٠ .
(7) الرحمن : ٢٦ .
(8) شرح التسهيل : ١٥٨/١ .
(9) النحل : ٦١ .
(10) معانى القرآن للأخفش : ٤٤٨/٢ - وانظر : مع القرآن الكريم فى دراسة مستلهمة : ١٧٣

ومنه قوله عز وجل (١) : « فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان » .

فالضمير راجع إلى جمع مؤنث غير مذكور ، وهو الجنان ، والمصرح بذكره قبلها هو الجنتان فدل الجزء على الكل فأغنى .

وقوله تعالى (٢) : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا » . والضمير للجنة ولم تذكر ؛ لدلالة ما قبلها عليها في قوله تعالى (٣) : « حدائق وأعنابا . وكواعب أترابا . وكأسا دهاقا » وهذا بعض مافي الجنة .

وقوله سبحانه (٤) : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » .

فالضمير في « لا يتكلمون لأهل السماوات والأرض (٥) . والمذكور جزء من خلق الله الذين لا يتكلمون في شئ من أمر الشفاعة أو غيرها إلاباذن الله تعالى ، فدل الجزء المذكور على الكل .

٢ - ذكر مصاحب المفسر استلزاما :

وحينئذ يمكن الاستغناء بالمستلزم عن المستلزم . ومنه قول الشاعر :

| | |
|---|---|
| فإنك والتأبين عروة بعدما | دعاك وأيدينا إليه شوارع |
| لكالرجل الحادي وقد تلع الضحى | وطير المنايا فوقهن أواقع |

فعاد الضمير من قوله « فوقهن » على غير مذكور ، وهي الإبل ؛ إذ إن الحادي يستلزم إبلا محدوة ، فأغنى ذكره عن ذكر الإبل ، فصح عود الضمير عليهن (٦) .

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى (٧) : « فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » .

---

(١) الرحمن : ٥٦ .
(٢) النبأ : ٣٥ .
(٣) النبأ : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .
(٤) النبأ : ٣٨ .
(٥) انظر الكشاف : ١٧٩/٤ .
(٦) انظر شرح التسهيل : ١٥٨/١ .
(٧) البقرة : ١٧٨ .

فالضمير فى قوله « إليه » عائد على غير مذكور ، وذلك لأن الفعل « عفى » يستلزم عافيا ، فأغنى ذلك عن ذكره ، وأعيد الهاء من إليه عليه [1] . والمعنى : فعليه اتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان على الذى يطلب [2] .

وقوله تعالى [3] : « أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون » .

فعاد الضمير فى قوله « فيها » على غير مذكور [4] ، وهو النار ولم يذكر استغناء بذكر ما يستلزمها ، وهو شيئان :

١ - اللعنة التى تعنى الطرد من رحمة الله ، ثم المصدر إلى النار ، فكان ذكر اللعنة دالاً على النار [5] .

٢ - قوله « خالدين » والخلود لا يكون فى دنيا الناس ، إنما يكون فى الآخرة وإنها لجنة أبدا أو لنار أبداً .

وقوله تعالى [6] : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين » .

فعاد الضمير فى قوله : ترك - لأبويه - له - ورثه - أبواه - فلأمه - يوصى ، على غير مذكور وهو الميت ؛ وذلك لأن ذكر الإرث فى قوله « ما ترك » يستلزم موروثا [7] ، وأن الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت [8]، والمعنى :

---

(١) انظر شرح التسهيل : ١/١٥٨ .
(٢) انظر معانى القرآن للأخفش : ١/١٥٧ .
(٣) آل عمران : ٨٧ - ٨٨ .
(٤) ويحتمل عوده على اللعنة .
(٥) انظر الجلالين : ٨٧ .
(٦) النساء : ١١ .
(٧) حاشية الصبان : ١/١٠٨ .
(٨) الكشاف : ١/٢٥١

يوصى الله الميت قبل موته بأن عليه لأبويه كذا ، ولولده كذا ، أى فلا يأخذن إلا ماله (١) .

وقوله تعالى (٢) : « ومنهم من يستمع إليك . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى أذانهم وقرا » .

فعاد الضمير فى « يفقهوه » على غير مذكور وهو القرآن الكريم أو الوعظ ، فقوله « يستمع » يستلزم مسموعا ، وما كانوا يسمعونه من النبى - صلى الله عليه وسلم - إما القرآن وإما الوعظ .

ومثله قوله سبحانه (٣) : « وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى » .

فاستلزم قوله « تدع » مدعوا ، وهو العائد إليه الضمير فى قوله « ولو كان » فكأنه قال : وإن تدع إنسانا لا يحمل من ثقلها شيئًا ولو كان الإنسان ذا قربى (٤) .

وقوله تعالى (٥) : « فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » .

ففاعل « توارت » ضمير الشمس وإن لم تذكر ، حيث أغنى عن ذكرها ذكر العشى . وأوله وقت الزوال ، فذكره يستلزم معنى الشمس (٦) فاكتفى بذلك . لأن العرب - كما يقول ابن خالويه - قد تكنى عن الشئ وإن لم يتقدم ذكره إذا كان المعنى مفهوما (٧) . ولما كان لابد للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر (٨) ، كان دليل ذكره هنا مغنيا (٩) .

---

(١) معانى القرآن للأخفش : ٢٢٩/١ .

(٢) الأنعام : ٢٥ .

(٣) فاطر : ١٨ .

(٤) معانى القرآن للأخفش : ٤٤٦/٢ .

(٥) ص : ٣٢ .

(٦) انظر شرح التسهيل : ١٥٨/١ - ١٥٩ - وحاشية الصبان : ١٠٨/١ .

(٧) إعراب ثلاثين سورة : ١٤٢ .

(٨) انظر الكشاف : ٣٢٨/٣ .

(٩) وقيل : الضمير للصافنات . أى : حتى توارت بحجاب الليل وهوالظلام . انظر الكشاف : ٣٢٨/٣ - وشرح التسهيل : ١٥٩/١ .

وقوله جل ذكره [1] : « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » فعاد الضمير فى « له » إلى الأب [2] ؛ لأن ذكر المرضع يستلزم مولودا له .

وقوله سبحانه [3] : « فأثرن به نقعا » .

فمفسر الضمير فى قوله « به » غير مذكور ، والضمير راجع إلى الوادى وإن لم يتقدم له ذكر [4] ، إذ المعنى : هيجن بمكان عدوهن [5] . وهذا التهييج يستلزم مكانا له ، فاكتفى بالمستلزم عن المستلزم [6] .

### ٣ - المصاحبة بالاستحضار الذهنى :

ولها أشكال ثلاثة هى :

- ذكر شئ واحد ثم اتباعه بضمير الاثنين .
- عود الضمير على مصاحب المذكور .
- عود الضمير على مسكوت عنه لاستحضاره وعدم صلاحية الضمير له .

أ- ذكر شئ واحد واتباعه بضمير الاثنين : وذلك مثل قول الشاعر :

وما أدرى إذا يممت أمراً ... أريد الخير أيهما يلينى

فقد ذكر الخير وحده متلواً بضمير اثنين . مقصود بهما المذكور ، وهو الخير ، وضده وهو الشر[7] لأن ذكر الأول يستحضر الثانى فى الذهن ؛ لأنه مقابله .

ومنه قوله تعالى [8] : « وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين . فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين » .

فعاد الضمير فى قوله « وإنهما » على مثنى ، والمذكور واحد ، وهم أصحاب

---

(١) الطلاق : ٦ .
(٢) انظر الجلالين : ٧٤٤ .
(٣) العاديات : ٤ .
(٤) انظر إعراب ثلاثين سورة : ١٥٦ .
(٥) انظر الجلالين : ٨٠٨ .
(٦) ويجوز أن يعود الضمير على الوقت المذكور قبلا فى قوله تعالى : فالمغيرات صبحا » .
(٧) انظر شرح التسهيل : ١/١٥٩ .
(٨) الحجر : ٧٨ - ٧٩ .

الأيكة . قوم شعيب عليه السلام . لأن ذكر قوم شعيب يستحضر فى الذهن قوم لوط عليه السلام ؛ لأن أصحاب الأيكة كانوا قريبا من قوم لوط ، بعدهم فى الزمان ، ومساحتين لهم فى المكان . ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال فى نذارته إياهم : [1] وما قوم لوط منكم ببعيد » [2] .

فالضمير إذن لقرى قوم لوط والأيكة [3] ، فهما نظيران ، وذكر أحدهما يستحضر فى الذهن الآخر . ويحتمل أن يكون الضمير للأيكة ومدين ؛ لأن شعيبا - عليه السلام - كان مبعوثا إليهما . فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين ، فجاء بضميرهما [4] .

ب - عود الضمير على مصاحب المذكور :

فذكره يستحضره ذهنيًا ، لأنه شريكه فيما يدور بشأنه الكلام . مثل قول الشاعر :

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فالضمير فى « نصفه » راجع إلى غير مذكور ، أى : نصف حمام آخر بقدره ، مثل : عندى درهم ونصفه ، أى نصف درهم آخر [5] . فرجع الضمير هنا إلى نظير المذكور .

ومنه قوله تعالى [6] : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير » .

فعاد الضمير فى قوله « من عمره » على غير مذكور ، والتقدير : من عمر غير المعمر . فأعيد الضمير على غير المعمر ؛ لأن ذكر المعمر مذكر به لتقابلهما ، فكان مصاحبه فى الاستحضار الذهنى [7] ؛ إذ إن طويل العمر فى الكتاب وفى علم الله تعالى لا ينقص من عمره ، وجعله ابن جرير مثل قولهم : عندى ثوب ونصفه ، أى

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٥٦/٢ . (٢) هود : ٨٩ .
(٣) انظر الجلالين : ٣٤٩ . (٤) انظر الكشاف : ٣١٨/٢ .
(٥) انظر حاشية الصبان : ١٠٨/١ .
(٦) فاطر : ١١ .
(٧) انظر شرح التسهيل : ١٥٩/١ - وحاشية الصبان : ١٠٨/١ .

ونصف ثوب آخر [١] .

ومنه قوله سبحانه [٢] : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير » .

فالضمير فى « جعلناها » راجع إلى غير مذكور ، فمفسره جنس المصابيح لا عينها ؛ لأنه لا يرمى بالكواكب التى فى السماء ، بل بشهب من دونها قد تكون مستمدة منها [٣] ، فالنجوم جعلها الله أقسامًا ثلاثة ، بعضها للزينة فى السماء ، وبعضها لرجم الشياطين ، وبعضها يهتدى به [٤] .

جـ - عود الضمير على غير مذكور لاستحضاره وعدم صلاحية الضمير له :

ومنه قوله الله تعالى [٥] : فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » .

فالضمير فى « مكروا » عائد على غير مذكور ؛ إذ لا يصح عوده إلى من آمن من بنى إسرائيل ، بل إلى كفارهم إذ وكلوا بعيسى - عليه السلام - من يقتله غيلة [٦] . فذكر الأولين يستحضر الآخرين .

ومنه قوله سبحانه [٧] : « قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » .

فالضمير فى « لم أخنه » عائد إلى غير مذكور ، وهو زوجها ، تقول : إنما

(١) انظر تفسير ابن كثير : ٥٥٠/٣ .
(٢) الملك : ٥ .
(٣) انظر تفسير ابن كثير : ٣٩٦/٤ .
(٤) السابق والصفحة .
(٥) آل عمران : ٥٢ - ٥٤ .
(٦) انظر الجلالين : ٨٢ .
(٧) يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

اعترفت بهذا على نفسى ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب ، فى نفس الأمر ، ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع [1] . فذكر الخيانة من زوجة يستتبعها استحضار زوجها فى الذهن . ولا يصلح أن يعود الضمير على يوسف – عليه السلام – رغم جريان الضمير عليه قبل ذلك ، فالخيانة المذكورة هنا إنما تكون بين زوجين [2] .

ومنه قوله جل ذكره [3] : « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون » .

فالضمير « هى » عاد على مسكوت عنه لاستحضاره بالمذكور ، وعدم صلاحية الضمير له ، فهو عائد على الأيدى ، بأن تضم إلى الأغلال ؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق [4] ، ولذلك يسمى « جامعة » فكان ذكر الأعناق دالا على الأيدى [5] ؛ لأنها تصاحب الأعناق فى الأغلال ، فأغنى ذكر الأعناق عن ذكرها [6] ، ولا يصلح أن يعود الضمير إلى الأغلال .

ومن هذا الضرب أيضا قوله تعالى [7] : إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا » .

فجرى الضمير « هن » فى قوله " أنشأناهن – فجعلناهن " على غير مذكور ، وهو النساء حور الجنة ، حيث أضمرن ولم يذكرن قبل ذلك [8] ، وأغنى عن ذكرهن ذكر الفرش فى قوله تعالى [9] : « وفرش مرفوعة » ، اللاتى يضاجعن فيها ،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير : ٤٨/٢ .

(٢) هذا هو الرأى الراجح بأن هذا كلام امرأة العزيز ؛ إذ إن سياق الكلام كله من كلامها بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم ، بل أحضره الملك بعد ذلك . وهناك من يرى أن هذا كلام يوسف عليه السلام .

(٣) يس : ٨ .

(٤) انظر الجلالين : ٥٨٢ .

(٥) انظر الكشاف : ٢٨١/٣ .

(٦) انظر شرح التسهيل : ١٥٩/١ .

(٧) الواقعة : ٣٥ – ٣٧ .

(٨) انظر معانى القرآن للأخفش : ٤٩٠/٢ .

(٩) الواقعة : ٣٤ .

فاكتفى بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن [١] ، ولا يصلح أن يعود إلى المذكور وهو الفرش .

## رابعا : عود الضمير إلى مضاف محذوف

ومنه قوله تعالى [٢] : « وكم من قرية أهكلناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون » .

فالضمير في « فجاءها » راجع إلى غير مذكور ، والتقدير ، فجاء أهلها .

قال الزمخشري [٣] : فإن قلت : هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل « قرية » أو قبل الضمير في « أهكلناهم » ؟

قلت : إنما يقدر المضاف للحاجة ، ولا حاجة ؛ فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها [٤] ، وإنما قدرناه قبل الضمير في « فجاءها » لقوله : « أوهم قائلون » .

ومنه قوله سبحانه [٥] : « من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا » .

فالضمير في « فيه » راجع إلى غير مذكور ، وهو المضاف ، والتقدير : في عذاب الوزر [٦] ، أو في احتماله [٧] .

وكذلك قوله تعالى [٨] : « وإنه لفي زبر الأولين » . فالضمير في « إنه » ليس براجع إلى القرآن ، وإنما إلى ذكره ، أي : ذكر القرآن المنزل على محمد [٩] ، فذكره مثبت في سائر الكتب السماوية ، وقيل إن معانيه فيها [١٠] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير : ٢٩١/٤ .
(٢) الأعراف : ٤ .
(٣) الكشاف : ٥٤/٢ .
(٤) ولهذا كان مجئ البأس بياتا شاملا القرية عامة ، لا لبعض مافيها أو من فيها ، إذ إن البيات يجمع الناس والأحياء كافة ، ولهذا جاء الضمير في أهكلناها للقرى . أما القيلولة فلا يجمع بين الناس والأحياء الأخرى . بل تظل حيث تكون لأن موعدها المساء ، فالهلاك في هذا الوقت للذين أخلدوا للقيلولة وحدهم ، لهذا جاء الضمير للذين يقيلون .
(٥) طه : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٦) انظر الجلالين : ٤٢٢ .
(٧) انظر الكشاف : ٤٤٦/٢ .
(٨) الشعراء : ١٩٦ .
(٩) انظر الجلالين : ٤٩٧ .
(١٠) انظر الكشاف : ١٢٧/٣ .

ومنه قوله تعالى [1] : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين » .

فالضمير فى « أقواتها » عائد على غير مذكور ، وهو المضاف ، والتقدير : أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم [2] .

وبعد هذه النظرة فى كتاب الله عز وجل ، بحثا عن مواضع استغناء الكلام عن ذكر مفسر ضمير الغائب ، والاكتفاء بالمذكور عنه ، تبين لى جانب من جوانب الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم ، فى هذا الموضوع : الإضمار مع عدم الذكر » - إضافة إلى الجوانب الأخرى ، وهو الاختصار المفهم ؛ فما دام المعنى يؤدى بقليل اللفظ ، فلا حاجة إلى كثيره .

وقد اتضح لى أن للإضمار مع عدم الذكر فى كتاب الله ، مبررات يتضح بها المعنى ويظهر المقصود من غير ذكر مفسر الضمير .

ومن هذه المبررات : أن يكون معنى المفسر حاضرا فى الحس أو العلم ، فيكون المفسر ملحوظا ذهنا لا مذكورا لفظا .

أو أن يسبق الضمير ما يشترك مع المفسر فى المعنى ومادة الاشتقاق ، فيكون دالا عليه ، هاديا إليه . سواء كان الدال فعلا أو اسم فاعل ، وسواء كان المفسر المحذوف المدلول عليه مصدرا أو اسم مفعول .

ومنها أيضا أن يذكر ما صاحب المفسر بشكل من أشكال المصاحبة التى سبقت أنواعها ومرت أمثلتها .

ومنها كذلك أن يكون الضمير راجعا فى الأصل إلى مضاف محذوف يكون مفسر الضمير دون المذكور .

وفى كل لا يؤثر فى وضوح المعنى عدم ذكر مفسر الضمير ، بل كأنه مذكور تمامًا

(١) فصلت : ٩ ، ١٠ .
(٢) الكشاف : ٣٨٤/٣ .

وبعد ، فآمل ألا أكون - فيما قلت عن القرآن الكريم - قد ملت إلى زيغ ، أو جنحت إلى هوى ، أو سرت على غير هدى . فإنما هى النية فى مدارسة كتاب الله عز وجل ، رغبة فى أن يهب لى الله قول صدق ودليل حق فى كتابه المصون .

# مراجع البحث


١ - الأخفش ، سعيد بن مسعدة .

● معانى القرآن - تحقيق د. فائز الفارس - دار البشير .

٢ - الأزهرى ، الشيخ خالد بن عبد الله .

● التصريح بمضمون التوضيح - دار الفكر .

٣ - الأزهرى ، أبو منصور محمد بن محمد .

● تهذيب اللغة - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٤ - الأشمونى ، أبو الحسن على بن محمد .

● شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك - دار احياء الكتب العربية .

٥ - الأنبارى ، أبو البركات عبد الرحمن .

● الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية .

٦ - ابن خالويه ، الحسين بن أحمد .

● إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - مكتبة المتنبى .

٧ - الزمخشرى ، محمود بن عمر .

● الكشاف عن حقائق التنزيل - دار المعرفة .

٨ - الزوزنى ، أبو عبد الله الحسين .

● شرح المعلقات السبع - دار بيروت .

٩ - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان .

● الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون .

١٠ - السيوطى ، عبد الرحمن بن أبى بكر .

● تفسير الجلالين - دار الفكر - بيروت - لبنان .

١١ - شعبان صلاح ، دكتور .

● الزمخشرى والقراءات - حوليات دار العلوم - العدد ١١ - ديسمبر ١٩٨٨م .

١٢ - الصبان ، محمد بن على .

● حاشية الصبان على شرح الأشمون - بهامش شرح الأشمونى .

١٣ - عباس حسن .

● النحو الوافى - دار المعارف .

١٤ - العكبرى ، عبد الله بن الحسين .

● التبيان فى إعراب القرآن - تحقيق على محمد البجاوى دار الجيل - بيروت

١٥ - ابن كثير ، إسماعيل .

● تفسير القرآن العظيم - مكتبة دار التراث .

١٦ - اللبدى . د . محمد سمير .

● معجم المصطلحات النحوية والصرفية - مؤسسة دار الرسالة .

١٧ - ابن مالك ، محمد بن عبد الله .

● شرح التسهيل - تحقيق د . عبد الرحمن السيد ود . بدوى المختون .

● شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ - ط بغداد .

١٨ - ناصف ، على النجدى .

● مع القرآن الكريم فى دراسة مستلهمة - دار المعارف .

١٩- ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف .

● حل ألغاز المسائل الإعرابية - تحقيق محمد سليم - مكتبة ابن سينا .

● شرح اللمحة البدرية فى علم العربية - تحقيق د . صلاح رواى - مكتبة دار العلوم .

٢٠ - ابن يعيش ، موفق الدين .

● شرح المفصل - مكتبة المتنبى .